International Journal of Education and Language Studies

ISSN: 2791-9323



Zohra JEBLAOUI [1] & Abdeljebbar HAMMOUMI[2]

THE EFFECT OF INTONATION ON READING COMPREHENSION DURING READING ALOUD THIRD SECONDARY LEARNERS PREPARATORY AS A MODEL

Istanbul / Türkiye

p. 1-13

Article Information

Article Type: Research Article

This article was checked by **iThenticate** No **plagiarism** detected

Article History

Received: 20/07/2022
Accepted: 09/08/2022
published: 01/09/2022

Abstract:

In this article, we discuss the role of intonation in developing the performance and comprehension abilities of learners: Performance by tracing the positive impact of prosodic reading in general, and intonation in particular, on the learners' reading aloud, which some learners often find difficult and repel them in order to avoid making mistakes in front of the teacher and peers. And comprehension by tracing the impact of this prosodic feature on improving the reading comprehension skill of these learners, and their ability to penetrate into the semantics of the readable text, and thus, moving reading to the level of oral reading achievement coupled with understanding, analysis, taste and conclusion. In order to ascertain the effectiveness of this prosodic variable didactically (reading), we conducted an experimental field study in this regard, during which we dealt with a sample of the third secondary preparatory learners by dividing them into two groups: a control group and an experimental group, using the statistical method (SPSS) to read the most important results of this study will be presented at the end of the article .

Key words: Prosodic, Intonation, Reading aloud, Reading comprehension.

 http://dx.doi.org/10.47832/2791-9323.8.1

[1]  Research Student, Hassan II University, Morocco, zahrajeblaoui@gmail.com; https://orcid.org/0000-0001-6889-5398

[2]  supervisor, Hassan II University, Morocco

أثر التنغيم في الفهم القرائي أثناء القراءة الجهرية
متعلمو الثالثة ثانوي إعدادي نموذجا

الزهرة جبلاوي [3]
أ.د. عبدالجبار حمومي[4]

الملخص

نناقش في هذا المقال دور التنغيم في تطوير ملكات المتعلمين القرائية أداءً وفهمًا: أداء بتتبّع الأثر الإيجابي للقراءة التطريزية عامة، والتنغيم خاصة، على قراءة المتعلمين الجهرية، التي غالبا ما يسْتصْعِبُها بعض المتعلمين وينفرون منها تجنّبا للخطأ أمام المدرس والأقران، وفهما بتتبُّع أثر هذا الملمح التطريزي في تحسين مهارة الفهم القرائي لدى هؤلاء المتعلمين، وقدرتهم على التمكن من دلالات النص المقروء، وبالتالي، الانتقال بالقراءة إلى مستوى الإنجاز القرائي الجهري المقرون بالفهم والتحليل والتذوق والاستنتاج. وبغية التأكد من مدى فعالية هذا المتغير التطريزي ديدكتيكيا (قرائيا)، أجرينا دراسة ميدانية تجريبية / اختبارية في هذا الخصوص، تعاملنا خلالها مع عيّنة من متعلمي الثالثة ثانوي إعدادي بأن قسّمناهم إلى مجموعتين: مجموعة ضابطة وأخرى تجريبية، مستعينين بالمنهج الإحصائي (SPSS) لقراءة أهم نتائج هذه الدراسة كما سيأتي في نهاية المقال.

الكلمات المفتاحية: التطريز، التنغيم، القراءة الجهرية، الفهم القرائي.

المقدمة:

رغم ما يلعبه التطريز من أدوار لغوية مهمة إلا أن المناهج الدراسية لا توليه أيّة أهمية، ولا تحاول الاستفادة منه لمعالجة بعض تعثرات المتعلمين اللغوية. ولأننا نؤمن بأهميته اللغوية هذه، وبأهمية العلاقة النفعية بين اللسانيات وقضايا الديدكتيك؛ ذلك أن اللسانيات تسعى إلى الكشف عن حقائق اللغة من جهة، وتقدم للمدرس إمكانية التفكير والتأمل في مادته وبنياتها، والمناهج التي تحكمها، كما تمكنه من التعامل مع اللغة من جوانب لسانية متعددة: صوتية / صواتية، وصرفية، وتركيبية، ودلالية، ومعجمية من جهة ثانية، (الغريسي، 2019) فإنّا سنسلط الضوء على دور **التنغيم** في تطوير مهارة **الفهم القرائي** لدى متعلمي السنة الثالثة من التعليم الثانوي الإعدادي، الذين يُفترض فيهم أن يكونوا قد تحكّموا في مستويات القراءة الأولية تحكّما جيدا (فكّ التسنين الصوتي الصواتي)، يؤهِّلهم إلى الشروع في إتقان وضبط مستويات القراءة التحليلية والتفسيرية والتذوقية... **فكيف يصير التنغيم، إذن، متغيرا تطريزيا مؤثرا في مهارة الفهم القرائي لدى هؤلاء المتعلمين أثناء القراءة الجهرية؟**

للإجابة على هذا السؤال المحوري، نخصص المحور الأول لتوضيح ماهية التطريز وبعض أدواره اللغوية الممكن استثمارها ديدكتيكيا لتطوير ملكات المتعلمين القرائية. ونناقش في المحور الثاني العلاقة بين التنغيم والقراءة الجهرية والفهم القرائي، بأن نتوقف عند الكيفية التي يستطيع بواسطتها التنغيم تطوير مهارة الفهم القرائي لدى المتعلمين، في إطار علاقته بباقي الملامح التطريزية الأخرى (النبر، والطول، والوقف، والإيقاع) من جهة، ومن خلال بعض الأنظمة الصوتية الصواتية التي ينبني عليها هذا الملمح وبخاصة (النغمية، والتوتر، والنغم) من جهة ثانية. ونتطرق في المحور الموالي إلى بعض الشروط الموضوعية لأَجرأة وظيفة التنغيم الديدكتيكية القرائية، على أن نختم المقال بتحليل نتائج دراسةٍ ميدانية تجريبية/ اختبارية أجريناها في هذا الخصوص.

[3] الطالبة الباحثة، جامعة الحسن الثاني، المغرب، zahrajeblaoui@gmail.com
[4] المشرف أ.د. ، جامعة الحسن الثاني، المغرب

1. التطريز مؤثر لغوي مؤثر ديدكتيكيا

يرتبط التطريز اللغوي أساسا باللغة المنطوقة، أي بالجانب اللغوي غير المرئي، فهو بذلك متغير يتجسد عبر ملامح لا يُقبل تمثيلها سوى فوق وحداتٍ صواتية خاصة تستوعب قوة هذه الملامح وما تتصف به من بروز. ولأنه يُعتبر خاصيةً من خاصيات اللغة المنطوقة، فهو معطى فوق قِطَعِي يتأسّس على قطبين اثنين هما:

- قطب الوحدات فوق القِطَعية؛
- قطب الملامح التطريزية.

هو، إذن، "دراسة للملامح الصواتية التي تخصص في متواليات اللغة المنطوقة" (Duboit & autres, 1973) ، ملامح يعوِّل عليها التطريز لتأدية أهم وظائفه اللغوية وغير اللغوية التي تَدخُل ضمنها قضايا الديدكتيك وتعليم اللغة العربية، إذ إن ما ذكرناه من ارتباطه الوثيق باللغة المنطوقة يجعله متغيرا إيجابيا، له وزنه الديدكتيكي ولاسيما ما يتصل بتعليم المهارات اللغوية الأربع (الاستماع، والمحادثة، والقراءة، والكتابة)، بل إنه مؤشر تنبني عليه مهارتا الاستماع والقراءة الجهرية وتعتمدان عليه كثيرا. فإذا كان بمقدور التطريز لغويا:

- التدخّل في تحديد البنية المقطعية للكلمات؛
- التدخّل في تحديد دلالاتها الصرفية؛
- التّأسيس لعلاقات تركيبية مختلفة (حنون 2010)؛
- تعويض ما قد يتمّ حذفه من مقولات تركيبية؛
- رفع الالتباس أو الغموض الذي قد يكتنف الدلالة التركيبية؛
- تنظيم البنية الإخبارية للأقوال وهندستها، وغيرها من الأدوار اللغوية التي يبرز التطريز من خلالها "جزءا من الشكل اللغوي، يشكّل خصائصه الزمنية والإيقاعية، وخصائص علوّه الموسقي pitch، وتتحقق بفضله غايات تواصلية" (Prieto, 2015) ، قلت: فإذا كان بمقدور التطريز تأدية هكذا وظائف لغوية، فإنه من الأهمية بمكان استثمار كل هذه الوظائف اللغوية ديدكتيكيا لتحسين قدرات المتعلمين القرائية. وهو الأمر الذي نتوقّع نيلَه وتحقيقَه منطلقين من فرضية كون **التنغيم قرينة تطريزية** لها أثر إيجابي على **الفهم القرائي** وقبْله على **القراءة الجهرية**.

1.1. بين التنغيم والقراءة الجهرية والفهم القرائي

لمَّا كان نجاح المتعلم في تحقيق الإنجاز القرائي رهينا بمستوى وعيه الصوتي الصواتي (قدرته على فكّ التسنين الفونولوجي، ومعرفته بمقاطع اللغة، إلى درجة أن أيَّ ضعف يُسجَّل لديه في هذا الجانب يؤدي إلى ضعف قرائي وكتابي)، ورهينا أيضا بقدرته على تحقيق طلاقة قرائية[5] يوازيها مستوى جيد من السرعة والدقة التعبيرية، ولما كانت القراءة في شقها الجهري تقوم على الإنجاز القرائي، وحيث إن القراءة عملية تحليلية بنائية تفاعلية لا يُقصد بها مجرد معرفة الكلمات المكتوبة والمنطوقة بطريقة صحيحة، وإنما تتعدى ذلك إلى فهم المقروء وتفسير المادة المقروءة وتقويمها، (المغراوي، 2017) ونظرا لأهمية مهارة القراءة بصفة عامة و"ارتباطها العضوي بمهارة الاستماع؛ إذ يمكن اعتبارها رافدا مهما من روافد بناء القدرة اللغوية في الاستعمالات اللغوية الشفهية"، (النهيبي، 2019) نظرا لهذا وغيره، **فإنه** يمكن اعتبار التنغيم متغيرا تطريزيا قادرا على بناء المهارة القرائية لدى المتعلمين **أداءً وفهما؛** أداءً بتحسين قدرتهم "الأدائية من حيث النطق بالحروف والكلمات واحترام الإيقاع والنبر والاسترسال والوقف...إلخ"، (النهيبي، 2019) وفهْمًا من خلال تحقق مؤشرات الكفاءة اللغوية القرائية، المتمثلة في الفهم والتتبع والاستيعاب وما يرتبط بذلك من قدرات تحليلية واستنتاجية.

ومما ييسّر على التنغيم أداء هذه الوظيفة الديدكتيكية كونه يمثل ذروةَ الملامح التطريزية؛ فهو في تحقُّقِه إنما يقوم على هذه الملامح وعلى غيرها من الخصائص الصوتية كمقومات تضمن له جوهره، وترسم ماهيته الصوتية والصواتية، وبذلك، فقد عُدَّ "البنيةَ النغميةَ للكلام التي يُعبِّر عنها اللحن الذي تنتجه الحنجرة"، (Féry, 2017) مما جعله مرتبطا بمتغيرات صوتية يأتي التردّد الأساسي[6] (F0) في مقدمتها، متغيرات يستمد منها الكلام المنطوق ما يتخلله

[5] الطلاقة حسب ماجدولين النهيبي (2019) هي: قدرة المتكلم على مواصلة الحديث بارتياح ودون ارتباك أو توقفات.
[6] التردد الأساسي أو (F0) هو.التردد الذي تهتز به الحبال الصوتية أثناء الكلام.

من تناوباتِ العلو الموسيقي، ويستمد منها أيضا ما يتميز به من حدّةٍ وثقلٍ وذلك تبعا للمتكلمين ومقتضيات الحال والمقام. والتنغيم بهذا المعنى "تتابع في النغمات الموسيقية أو الإيقاعات في حدث كلامي معين". (باي، 1998)

ويبرز دور التغيم في سياق القراءة الجهرية بروزا جليا، حيث يعوَّلُ عليه في تقطيع تدفّق الكلام المستمر إلى أجزاء، فيبدو كل جزء وكأنه قسم كامل ومستقل من الكلام، حينئذ يكون لزاما على المتعلم معالجة هذا التدفّق وتشفيره، وتقسيمه إلى وحدات فرعية ذات مغزى، (Hilton & al, 2019) يستطيع من خلالها النفاذ إلى المعنى المقصود، ومن ثمة، تحقيق فهم قرائي سليم، لاسيما وأن هذا التقطيع يلعب دورا مركزيا في معالجة اللغة ووصفها.[7]

وهو ما يتأتَّى للتنغيم من خلال قدرته على عكْس السمات اللغوية المختلفة كبنية الجملة، وسمات النص مثل علامات الترقيم، حيث يلتقط القرّاء الماهرون هذه السمات ويستجيبون لها عند القراءة بصوت عال، (أي عند القراءة الجهرية)، كما هو الحال عندما يتوقفون لفترة وجيزة عند الفواصل التي تستدعي وقفا خفيفا قصيرا، ويتوقفون لفترة أطول قليلا عند حدود الجمل، ويرفعون صوتهم في نهاية جمل الاستفهام، ويخفضونه عند نهاية الجمل التقريرية الإثباتية.

وطبيعي حينما يكون بمقدور التنغيم عكس هذه السمات التقطيعية التركيبية، أن يُيسِّر على المتعلم المستمع فهمَ المقروء وتحديدَ جوانبه الدلالية، وما يوازي ذلك من مهارات قرائية أخرى كالتفسير والاستنتاج والتذوق والنقد، وهو أمر سيسهم، لا محالة، في تعويد المتعلم على التفكير السليم والربط المنطقي والإبداع والإنتاج.

1.1.1. الأنظمة التنغيمية والفهم القرائي

إذا كانت الجملة بمختلف مكوناتها هي مجال التنغيم، فمن البديهي أن يكون لهذا الأخير أثر كبير وجليّ في تحديد موضوعها والخبر الوارد فيها، وبالتالي، الحسم في نمطها وطبيعة مقولاتها التركيبية، وما النص المقروءُ المسموعُ سوى جملٍ متباينةٍ تركيبيا ودلاليا يعمل ملمح التنغيم بواسطة أنظمته المختلفة على ضبطها وتوجيهها، والإفصاح عن تأويلاتها المختلفة، ومن ثمة، فهمها فهمًا صحيحا مُوصِلا إلى مضمونها الصحيح والمقصود. ويمكن ربط هذه الوظيفة التطريزية التنغيمية، بشكل أكثر دقة، بقوة النطاقات التنغيمية وقدرتها على التحكم الدلالي والأسلوبي، والتمييز بين الصيغ الإخبارية والاستفهامية والتعجبية والأمرية وغيرها من الصيغ، (بركة، 1998) ليصبح التنغيم نتيجةً لذلك متغيرا مفتاحا لفَهْم جوانبَ متعددةٍ من الجملة، (Prieto, 2015) كلما أوْلاها **المعلم** ما تستحقه من عناية أثناء الإنجاز القرائي الجهري، أسْهَمَ في تطوير ملكات المتعلمين القرائية النطقية، وتلك التي تتصل بجوانب المعنى والدلالة، حيث يتكلَّفُ التنغيم بتشفيرها. فإذا "كانت الغاية التي يسعى إليها الناظر في النص هي فهم هذا النص، وأن وسيلته في ذلك أن ينظر في العلامات المنطوقة أو المكتوبة ليصل بواسطتها إلى تحديد المبنى، فإنّ ما هو أكثر صعوبة من ذلك، دون شك، هو القفز العقلي من المبنى إلى المعنى، لأن ذلك يحتاج إلى قرائن معنوية ولفظية، (حسان، 1994) يعد التنغيم أبرزها في علاقته بالملامح التطريزية الأخرى.

ومما يزيد من حاجة مناهج تعليم اللغة العربية عامة ومهارة القراءة خاصة إلى خدمات هذا الملمح التطريزي، كون اللغة العربية لغةً **تنغيمية** تعتمد كثيرا على تغيرات العلو الموسيقي الذي يلعب دورا مهما في تبليغ وتوضيح رسائل الكلام المنطوق؛ فوظيفتها تتجاوز ما هو تركيبي إلى ما هو دلالي إخباري، يتحول معها التنغيم إلى متغير قادر على التحكم في البنية الإخبارية للجملة، ومن ثمة، قدرة المتكلم على تنظيم معلوماته وإدارة توزيعها على مستوى الجمل، فيميِّز بين المعلومة القديمة أو المعلومة المعطاة والمعلومة الجديدة، وإذن، تيسير عملية الفهم القرائي على المتعلم. **لكن، كيف يتمكن التنغيم من تأدية هذه الوظيفة؟**

يتمكن التنغيم من ذلك بفضل علاقته المتميزة مع باقي ملامح التطريز من جهة، وبفضل أنظمة صوتية/ صواتية محددة من جهة ثانية. فرغم بعض الخصوصيات التطريزية التي ينفرد بها هذا الملمح، والتي تجعل منه ملمحا مختلفا عن بعض الملامح التطريزية الأخرى،[8] فإن هذا التفرُّد لا يلغي التعالق القوي بينه وبين باقي المؤشرات التطريزية مادامت

[7] راجع في هذا الصدد: Fraizier and Chifton (2006); Spear and Ito (2009)

[8] يتم تحديده على مستوى المركب وذلك بفضل تفاعل معقَّد بين عناصر عديدة هي: المركب التطريزي والتركيب والمستوى البراغماتي، وتتدخل هذه العناصر في تحديد مكان حدوث نبرات العلو الموسيقي وضبطها،[8] فيكون نتيجة لذلك ذا معنى ومغزى.

هذه الأخيرة تساهم في بلورة حقيقة التنغيم وجوهره، (Arvaniti, 2015) وبالتالي، قدرته على اقتحام السيرورات الدلالية للأقوال، وتوجيه أبعادها الدلالية.

وحديثُنا عن دور هذه الملامح إنما نقصد به دورَ كلٍّ من:

- **النبر والطول**: اللذين يسهمان في تحقيق التغيرات المتنوعة لدرجات العلو الموسيقي، أو الوثيرة النطقية للجمل، وكذا التمييز بين المقاطع المنبورة وغير المنبورة؛ (Pike, 1945)؛
- **الوقف**: باعتباره ملمحا تطريزيا يلعب دورا رياديا في التمييز بين المركبات التنغمية (IPs)، ويتدخّل في تأدية الأنماط التنغيمية لمختلف وظائفها الدلالية، فـ"الوقوف تفصل في وسط الجملة، وبصفة متواترة، وحدات نحوية كبرى مثل الجملة، أو تفصل وحدات صغرى لكي تساهم في وحداتها الداخلية"؛ (Karlin, 1985)؛
- **الإيقاع**: الذي يمنح الكلام قالبا صوتيا يدركه المتعلم المستمع ويَتعود عليه مُتَوقِّعا دائما تكراره.

أما الأنظمة الصوتية/الصواتية الأخرى التي تُعِينُ التنغيم على هندسة منطوق المتكلم وولوج مجالات الدلالة، مُبرِزَةً أثره الإيجابي على مستوى الفهم القرائي، فتتمثل في أنظمة ثلاثة هي:

- **النغمية** (tonality): وهي النظام الذي يكتشف المستمع بواسطته الطريقة التي يُدِيرُ بها المتكلم معلوماته تقطيعا ودلالةً؛
- **التوتر** (tonacity): وهو العنصر الذي يُعيَّن بواسطته المقطعُ النواة داخل كل وحدة تنغيمية، والذي يَظهَر من خلاله قرارُ المتكلم الخاص بتركيز كلِّ جزءٍ من بنية المعلومات داخل جملة من الجمل المكوِّنَةِ للنص المقروء؛
- **النغم** (tone): أي النظام الذي يُصوِّر تلك الطريقة التي يتعامل بها المتكلم مع العلاقات بين الوحدات، فتصنف المعلومات إلى رئيسية وثانوية، أو كما قال (تانش tench 2005): المعلومات الأولية والثانوية، والمعلومات التابعة والمعلومات المميزة. (Tench, 2005)

ولنا أن نستشف من هذه الأنظمة الثلاثة صلة التنغيم بالمعاني والدلالات؛ المعاني التي تساعد على تشكُّل القراءة التنغيمية الصحيحة في ذهن المتعلم، لأن الكلام يصبح بفضلها أكثر إيقاعا، فلا يبدو رتيبا أو مملّا، مما يساعده على فهم المقروء فهْما تتحقق على إثره نتيجتان مهمتان هما: المعالجة اللغوية الشمولية لهذا المقروء، وكذا الاقتصادية الزمنية التي غالبا ما يكون **المعلم** في حاجة ماسة إليها أمام ما تعرفه المقررات من زخم كمّي على مستوى النصوص القرائية المبرمَجة، وأمام ما تعرفه مستويات المتعلمين الدراسية من تراجع لغوي واضح.

للتنغيم، إذن، وظيفة ديدكتيكية مهمة ترتبط أساسا بالقراءة والقراءة الجهرية على وجه الخصوص، ومن خلالها بالفهم القرائي. إنه داخلَ القراءة الجهرية مؤشرٌ للفهم القرائي؛ فكل ما ينبني عليه من مؤشرات تطريزية، وأنظمة صوتية / صواتية يُعدُّ بمثابة مقاييس مُقيّدة ومفيدة للفهم القرائي. (Karlin, 1985) **فما هي بعض الشروط الإجرائية الديدكتيكية التي بإمكانها مساعدة التنغيم في ترجمة وظيفته الديدكتيكية القرائية أداءً وفهمًا؟**

2.1.1. بعض الشروط الديدكتيكية لأجرأةِ وظيفة التنغيم القرائية

1.2.1.1. كفاءة المدرس اللغوية ومهاراته القرائية

يشكل المعلم رأسا محوريا من رؤوس المثلث الديدكتيكي، مما يجعل دوره في العملية التعليمية التعلمية جوهريا؛ فهو بمهاراته المهْنية التربوية والتواصلية والتقنية يستطيع التأثير في العنصرين الآخرين [المعرفة/المتعلم]: بتخطيطه الجيد للدروس، وضبطه للمتعلمين، وإدارة الحوار، وإلمامه بمختلف البيداغوجيات وطرائق التدريس، ومسايرته لكل ما جَدّ واستجدّ في مجال التربية والتعليم.

والمعلم الناجح هو من يجعل التجربة التعليمية التعلّمية جميلة وممتعة، يستمتع المتعلمون أثناءها، فيطلبون المزيد دون ملل أو سأم. وتُعدّ سمةُ المتعة هذه سهلةَ المنال في حصص تعليميةِ اللغة العربية، نظرا لما توفره مكوناتُها ومهاراتُها المتعددة من فرصٍ للإبداع والفنّية اللّامحدودين. ويوفر مكون القراءة هامشا كبيرا لهذا الإبداع والتميز، شريطة امتلاكِ المدرس كفاءةً لغوية عالية صوتيا، وصرفيا، وتركيبيا، ودلاليا، وحتى براغماتيا. وهي الكفاءة التي تُترجَم في أُولى وأبْسط صورها خلال قراءته النصوصَ قراءة تنغيمية نموذجية أمام المتعلمين بأنْ:

- ينطقَ الحروف جيدا مراعيا مخارجها وصفاتها، وعلاقات التجاور بينها؛
- يميزَ بين المقاطع المنبورة وغير المنبورة؛
- يمُدَّ ما يوجب المدَّ ويقصر ما يقتضي التقصير؛
- يحترمَ علامات الترقيم، فيميز بين مواضع الوصل ومواضع الفصل؛
- يرفعَ الصوت تارة ويخفضه تارة أخرى؛
- يتمثلَ معاني النص ودلالاته المختلفة، مُقسِّما المقروء إلى مركبات تنغيمية تراعي مؤشر وحدة المعنى وتمامه (سيلكورك Selkirk 1984)، حتى تتسم قراءتُه بطابعٍ انفعالي يتحقق معه التماهي بين القارئ والمقروء،

وغيرها من سمات القراءة التنغيمية الإيقاعية التي من المفتَرَض أن يؤمنَ المدرس، خلال تطبيقها، بمعادلة هامة تتمثل في كون العلاقة بين الألفاظ والبنى ومدلولاتها تعجِّل بتحكّم المتعلم في مهارة القراءة **أداءً وفهمًا**، ومن خلالها، التحكم في المهارات اللغوية الأخرى. فحَريٌّ بالمدرس إيلاء الفعل القرائي الجهري القائم على التنغيم تلك العنايةَ التي من شأنها تطوير قدرات المتعلمين في هذا الخصوص. وإجمالا، ينبغي عليه أن يكون **قدوة قرائية** مُلهِمَة.

2.2.1.1. دور النصوص الإبداعية في ترجمة أهمية التنغيم قرائيا: أداءً وفهمًا

إذا كان من بين الأهداف التي نسعى إليها تمكينُ المتعلم من قراءة تنغيمية إيقاعية جميلة، يتذوق من خلالها المقروء إيقاعا ودلالة، فجدير بنا الالتفات إلى طبيعة النصوص التي تفسح المجال أمام تحقق هذا الهدف، إذ الأمر يفرض تعامل المتعلم مع نصوص إبداعية تربّي فيه ملكة تذوق النصوص واستحسانها، ومن ثمة، الإقبال على قراءتها واستكناه أسرارها. وهو الأمر الذي تحقَّقَ مع متعلمين تعاملوا مع نصوص أدبية جميلة مطرزة كتابيا، غَدَت قراءتُها الجهرية، في ظل هذا التطريز، قراءةً مطرزة فيها من الترنّم والنبر والمد والوقف والانفعال ما يحفّزهم على قراءتها، وييسّر عليهم فهمَ مضامينها.[9]

إننا نشجع على إغناء مقررات المتعلمين بنصوص إبداعية "صادرة عن أصالة الكاتب وما خالج صدره من مشاعر، وداعب ذائقته من خيالات". (الضباغ، 2019) الأمر الذي يفرض ضرورةَ التقليصِ من حيِّز النصوص النثرية المقالية وحتى الشعرية التي يغلب عليها الأسلوب التقريري المباشر، هذا الأخير الذي يُسهم في نفور المتعلمين وإحساسهم برتابة أمْلاها أيضا تشابه المواضيع وجفافها الأسلوبي التعبيري. وهو ما نسجله في مقررات اللغة العربية الخاصة بالسلك الثانوي الإعدادي، حيث إن أغلب النصوص الواردة فيها نصوص تقريرية ذات لغة مباشرة، تفتقِر إلى عنصر الخيال والتصوير الفني المُلهِم والمؤثِّر.

3.2.1.1. بين التنغيم والمتعلم والاستماع

إن تحقّق غايات وأهداف قراءة المدرس المعتمدة على التلوينات الصوتية الصواتية، يقتضي أن يكون المستمع إليه مستمعا جيدا. وهنا صار لزاما الاهتمام بمهارة **الاستماع**، وتدريب المتعلم على القراءة الاستماعية التي يتجاوز فيها مرحلة استقبال الصوت إلى استيعاب المسموع. وفي هذا الخصوص، يؤكد ستيفين كراشين (Douglas, 2007) أهمية الاستقبال الأذني للغة الذي يقف وراء قدرة المتعلم الحالية، فهو إذا تمرّن على الاستماع الجيد لمقروءِ المدرسِ، كان ذلك **مَدْخلا** لتحقيق قراءة مستقلة ناجحة يتحقق معها القاسم المشترك بين مهارتي القراءة والاستماع المتجسد في **الفهم**، تنضاف إليه فائدة أخرى تكملها قراءة المدرس الإيقاعية التنغيمية واستماع المتعلم المثالي تتمثل في التلذذ والتذوق والفنية والجمالية، فيتماهى الأول مع النص المقروء، وينصهر الثاني مع النص المسموع بعد أن يزداد انتباهُه وتركيزُه؛ فالعلاقة بين الاستماع والقراءة تستند إلى جوهر هاتين العمليتين والهدف الرئيس منهما وهو الفهم، حيث يكتسب الطفل بداية، مهارات الاستماع بما في ذلك التركيز والانتباه المقصود لما يسمع، محاولا فهمه، وكلما تطورت مهارات الفهم السمعي لديه، كان ذلك مدعاة لنمو الفهم القرائي اللاحق لديه". (البصيص، 2011)

إن التقاط المتعلم لمختلف معان النص ودلالاته، وانفعالات الكاتب ومقصديته لن يتحققَ ما لم نُعوِّده على إتقان مهارة الاستماع، لأن "لهذه المهارة علاقة قوية بصفات المستمع الجيد مثل الذاكرة، ودرجة الاهتمام، والانتباه،

[9] أقصد المتعلمين الذين درسوا اللغة العربية في مقررات ما قبل تجديدات 2005 بالنسبة للسنة الثالثة إعدادي.

والعمر، والجنس، والدافعية"، (أبو عمشة، 2018) هذه الأخيرة (أقصد الدافعية) التي نرى التنغيم استراتيجية فعّالة في إثارتها لدى المتعلمين، كما يُفهَم من كلامُ إخوان الصفا: "اعلم أن الإنسان مع استماعه الأصوات، وتمييزه بالنغمات، يفهم معاني اللغات والأقاويل". (أبو عمشة، 2018) وهو ما سبق لابن خلدون أن أكده حين اعتبر السمع أبا الملكات. ولنا أن نقتدي في هذا الأمر ببعض مدارس تعليم اللغات الأجنبية التي تهتم **بالمدخل السمعي،** وتستثمر فوائده في تعليم اللغة وتعلمها. مما يقتضي بذل جهد في تربية المتعلم منذ المراحل التعليمية الأولى على امتلاك القدرة السمعية التي تؤهله تدريجيا إلى محاكاة قراءة المعلم والأقران، وفهم المقروء وإدراك خفاياه الدلالية والإبداعية الجمالية.

4.2.1.1. الدافعية

إن الدافعية (أو رغبة المتعلم في التعلم) تؤدي دورا فعّالا، بل هي معيار مهم في نجاح المتعلم أو فشله في تعلم اللغة والسيطرة على مهاراتها الأربع، لأنها توجه نشاطه وتحدده. وحيث تعتبر القراءة عملية عاطفية معرفية نشطةً، تستلزم الارتباط الفعال بين القارئ والنص المقروء من أجل بناء الفهم القرائي المطلوب، وجبَ الاهتمام بخلق دافعية لدى هذا القارئ المتعلم. وهي دافعية يمكن تنميتها وتعزيزها بأوجه النشاط المختلفة؛ فالأمر يقتضي مراعاة عوامل الإثارة والتشويق في محتوى النص المنطلَق منه، وفي استراتيجية تدريسه عامة، وقراءة المدرس له خاصة، وكأن التنغيم هاهنا، يخدم نفسه بنفسه؛ فكلما قرأ المدرس قراءة إيقاعية تنغيمية جيدة، إلا وأثّر في المتعلم، فيحثه بذلك على الانتباه والتركيز، وما يستتبعه ذلك من استماع جيد، وفهم للمقروء وتفاعل معه.

وهو الانتباه ذاته الذي تكفله النصوص القرائية، سواء بما تقدمه من سمات إيقاعية فنية إبداعية، تجعل منها نصوصا تخاطب كيانات المتعلمين قبل أذهانهم، أو بما تحمله من مضامين تتسم بالجدة والدينامية المسايرة لروح العصر. دون أن ننسى أهمية استحضار الفروقات الفردية بين هؤلاء المتعلمين، وخصوصياتهم النفسية والعقلية والعمرية.

ويبقى التحفيز اللفظي أو الفعلي، الوسيلة الأسرع لخلق هذه الدافعية القرائية، مع ما يقتضيه ذلك من تجاوز لما قد يقع فيه المتعلم من أخطاء قرائية، يؤدي تصحيحها أو انتقادها بطريقة غير علمية إلى عزوفٍ قد يكون قرارا نهائيا يتخذه المتعلم طيلة السنة الدراسية. بيد أن الموقف يقتضي اعتبار الخطأ أو التعثر سبيل المتعلم إلى المعرفة والاكتشاف، فالإبداع والإنتاج.

2. الدراسة الميدانية

1.2. أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى تتبع أثر التنغيم في:

- تحسين قراءة المتعلم الجهرية؛
- تحقيق فهمٍ قرائي صحيح لمختلف معاني ودلالات النص المقروء؛
- تذوق المقروء بانفعال يتلاءم وانفعالات الكاتب؛

فتكون قراءته، وبفضل هذا الملمح التطريزي المتميز، فسيفساء مطرزة بزخارف إيقاعية تيسر الفهم على المستمع وتنمّ عن فهم القارئ.

2.2. فرضيات الدراسة

- يؤثر ملمح التنغيم إيجابا في قدرات المتعلمين القرائية أداءً وفهمًا وتذوقًا؛
- لا يلعب التنغيم أي دور في تحسين قدرات المتعلمين القرائية أداء وفهما وتذوقا.

3.2. مجتمع الدراسة

وقع الاختيار على متعلمي الثالثة ثانوي إعدادي بثانوية شكيب أرسلان العمومية (المحمدية).

4.2. عينة الدراسة

نظرا لعلاقتنا الوطيدة بالسلك الثانوي الإعدادي عامة، وبالسنة الثالثة منه خاصة، اخترنا الاشتغال مع متعلمي هذه المرحلة التعليمية. وبحكم علاقتنا القوية مع المتعلمين ومعرفتنا لأهم مشاكلهم اللغوية (القرائية على وجه الخصوص)، فقد انتقينا عينة مكونة من ستين (60) متعلما موزعين بين فصلين دراسيين هما: قسم 1/3 باعتباره المجموعة **الضابطة**، وقسم 2/3 باعتباره المجموعة **التجريبية**.

5.2. أدوات الدراسة

1.5.2. الملاحظة

تمت الاستعانة بأداة الملاحظة المبنية على مهارة الاستماع لتتبّع مستويات تحسّن قراءة المتعلمين الجهرية طيلة حصص النصوص القرائية القائمة على التنغيم كمتغير جديد يعتمده المدرس خلال قراءاته النموذجية للنصوص المنتقاة خلال أسابيع التجريب.

2.5.2. الاختبار

اختتمت أسابيع التجريب باختبار كتابي قِيسَ بواسطته مدى تحسّن الفهم القرائي لدى العينة المنتقاة لهذا الغرض، وذلك وفق الخطوات التالية:

- قراءة الأستاذة لنص الاختبار قراءة جهرية نموذجية تنغيمية إيقاعية، تستجيب لكل شروط القراءة السليمة والمعبرة والمؤثرة (عندما يتعلق الأمر بالمجموعة التجريبية)؛

- أثناء قراءة الأستاذة للنص، كان المتعلمون بصدد الاستماع إليه دون تسجيل أية معلومة أو مقاطعة لقراءتها؛

- بعدها، سُلِّم إليهم النص مُرفقا بأسئلة الاختبار؛

- دعوة المتعلمين إلى إعادة قراءة النص قراءة صامتة ثم الإجابة على الأسئلة المطروحة.

1.2.5.2. ظروف إجراء الاختبار

أُجريَ الاختبار في ظروف عادية وموضوعية، بعيدا عن كل المتغيرات الدخيلة التي قد تؤثر بشكل أو بآخر على سيره أو إنجازه؛ إذ اعتمد كل متعلم على نفسه اعتمادا تاما وكليا، وكان كل المتعلمين في صحة جيدة. فضاء الاختبار (المكان) هو الآخر كان طبيعيا؛ لا فوضى في الساحة، الأستاذة جدّ مرتاحة ومتحمسة.

2.2.5.2. طبيعة النصوص المختارة للتجريب والاختبار

إن أغلب النصوص المبرمجة في كتاب متعلم الثالثة ثانوي إعدادي، والمعمول به في مؤسسة "**شكيب أرسلان**" "مرشدي في اللغة العربية"، نصوص يستحوذ عليها الأسلوب التقريري المباشر، البعيد عن التصوير الفني والإيقاع الصوتي الجمالي، ما لا يسعف على الإبداع والتفنن في القراءة الجهرية وتحبيبها إلى المتعلم، وبالتالي، تمكن هذا المتعلم من تذوق النص وتمثل معانيه. ثم إن أغلب هذه النصوص ذات طابع نثري يُدخل المتعلم في رتابة قاتلة، ويُبعده عن القراءة نتيجة ما يَخْلُقُه لديه من مللٍ وتضجرٍ، وبحثٍ عن جديد مُشوقٍ ومحفِّزٍ، وهو الجديد الذي حملناه إليه بانتقاء نصوص أدبية تتوزع بين النثر والشعر طيلة أيام التجريب، غنية بظواهر صوتية صواتية وصرفية وتركيبية ودلالية متميزة ومتباينة، وانفعالات جياشة متدفقة تشدُّ المتعلم إليها شدّا، فيقبل على قراءتها جهريا، ويتوصّل إلى دلالاتها ما ظهر منها وما بطن، معتمدا في ذلك على قراءة الأستاذة المميزة والراقية، بما توافر فيها من شروط القراءة المطلوبة ديدكتيكيا. وهكذا، فقد وقع الاختيار على النصوص التالية:

النص	نوعيته	صاحبه
- المرأة والمجتمع	- نص مقالي	- علال الفاسي
- كرم وإيثار	- نص شعري	- الحطيئة
- عائشة	- نص سردي	- عبد المجيد بن جلون
- عاشق الذهب	- مسرحية شعرية	- عبد العزيز عتيق

3.2.5.2. المدة الزمنية المخصصة للتجريب

دامت مرحلة التجريب أربعة أسابيع بمعدل حصتين (ساعتين) أسبوعيا لكل مجموعة على حدة.

4.2.5.2. نص الاختبار

النص	نوعيته	صاحبه
- الأطلس	- مقالة	- محمد الكتاني

5.2.5.2. أسئلة الاختبار

تمحورت أسئلة الاختبار حول مدى فهم المتعلم لمضامين النص، وتذوق أساليبه المختلفة، اعتمادا على قراءة الأستاذة النموذجية القائمة على التنغيم أولا، واعتمادا على قراءة المتعلم الصامتة ثانيا. وحدّدت هذه الأسئلة في خمسة عشر (15) سؤالا، أجاب المتعلم عنها في ظرف ساعة من الزمن.

6.2. حدود الدراسة

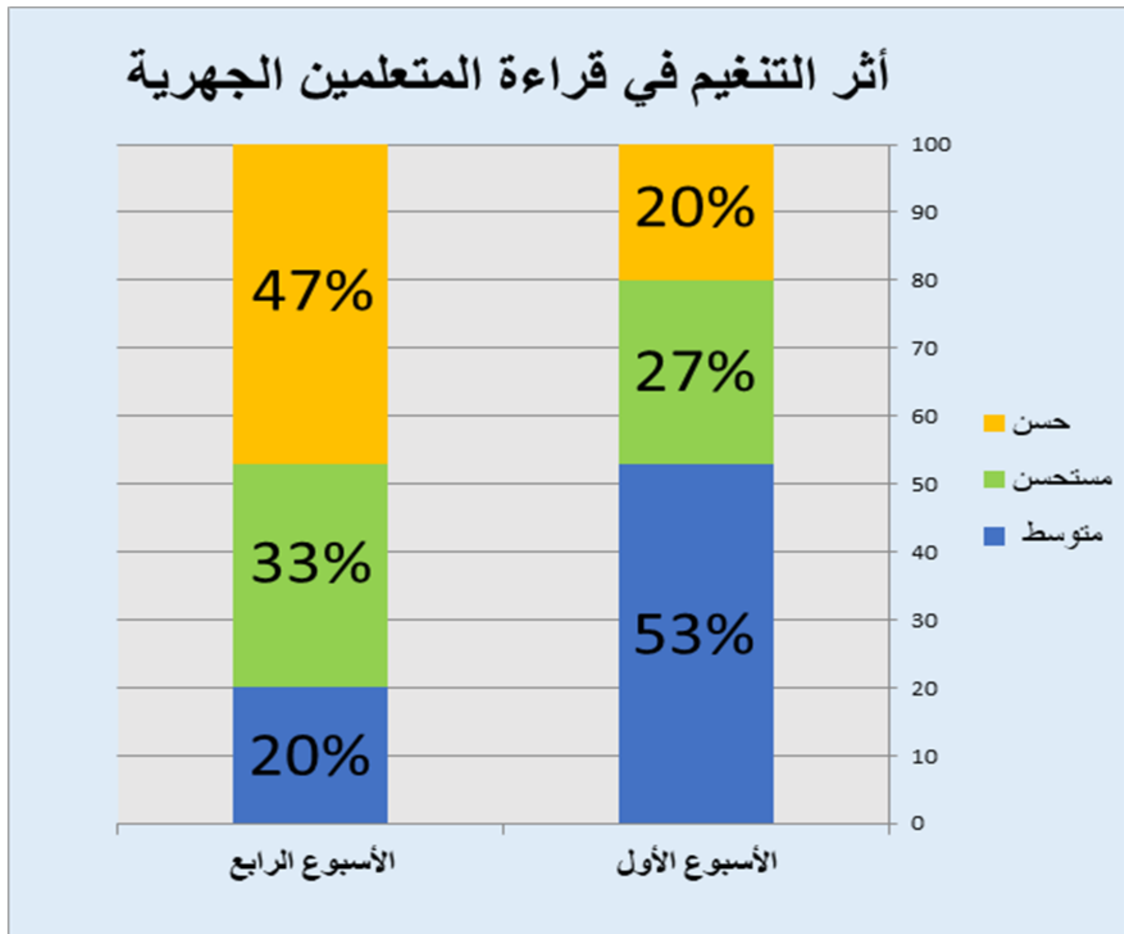
- عينة من متعلمي الثالثة ثانوي إعدادي بالثانوية التأهيلية شكيب أرسلان؛

- نصوص مختارة خارج المقرر الدراسي الحالي، تستجيب للمواصفات العلمية اللازم توفرها في نصوص تخص متعلم الثالثة إعدادي، لتتوافق مع خصوصياته النفسية والعمرية والعقلية، ومع القيم المراد ترسيخها وزرعها فيه، وكذا مع المجالات المبرمجة في المنهاج.

3. قراءة في نتائج الدراسة

1.3. النتائج الخاصة بالقراءة الجهرية

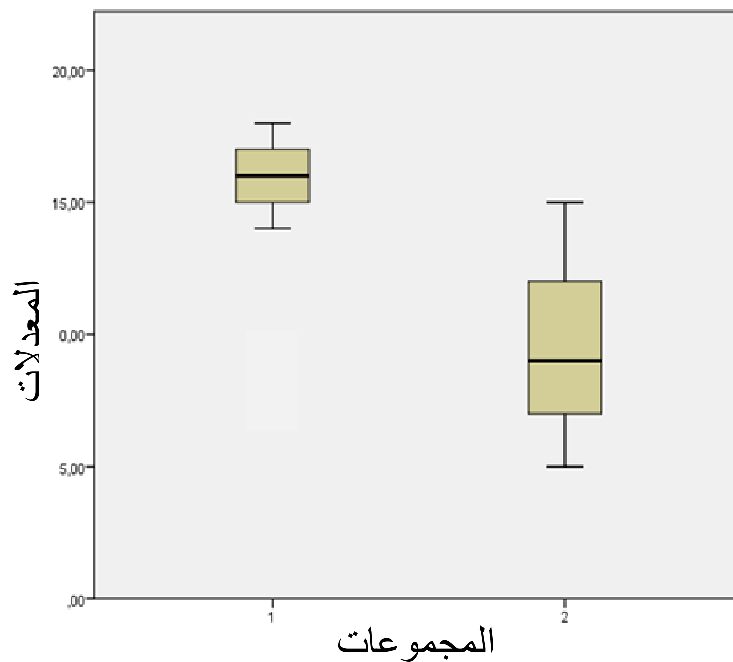
لمعرفة ما إذا كان للتنغيم أثر في تحسين قراءة المتعلمين الجهرية وتشجيعهم عليها، قارنّا بين مستوى قراءة أفراد المجموعة التجريبية خلال الأسبوعين الأول والرابع من التجريب، معتمدين في ذلك على الملاحظة المباشرة والدقيقة لقراءات كل المتعلمين، لتأتي النتائج على الشكل التالي:



يوضح المبيان أعلاه، التحسن الذي عرفه مستوى قراءة المتعلمين الجهرية؛ إذ نجد أن 53% من المتعلمين كانت قراءتهم متوسطة، و27% منهم قراءتهم مستحسنة، و20% فقط، من كانت قراءتهم حسنة خلال الأسبوع الأول، 20% منهم من بقيت قراءتهم متوسطة، و33% قراءتهم مستحسنة، مع تغير ملحوظ في نسبة المتعلمين الذين تحسنت قراءتهم إلى الأفضل، إذ أصبحت حسنة بنسبة وصلت 47% خلال الأسبوع الرابع. وهو ما لامسناه من خلال إقبالهم المتميز على القراءة الجهرية، وتجاوز الإحساس بالإحراج إذا ما تم الوقوع في الخطأ القرائي أمام الأقران، إضافة إلى ما عايناّه لديهم من تنافس محمود ومرغوب على هذا النوع من القراءة، وفق الشروط التي تقتضيها القراءة التنغيمية؛ إذ اجتهد هؤلاء المتعلمون في احترام علامات الترقيم، وتمثُّل مختلف دلالات النص المقروء، والعمل على إبراز هذه الدلالات قراءة، وأحيانا، إيماءً. مما أضفى على حصص القراءة طابع الجمالية والتنافس والإبداعية، ووضّح بجلاء التأثير الإيجابي لقرينة التنغيم في قدرات المتعلمين القرائية.

2.3. النتائج الخاصة بالفهم القرائي

للتأكد من مدى تأثير التنغيم في مستوى الفهم القرائي لدى المتعلمين، قمنا باختبار خلال حصص التجريب، ركزنا خلاله على قياس مدى فهمهم لمختلف دلالات نص الانطلاق وأهم أساليبه، باحتكامهم إلى قراءة المُدرّسة القائمة على التنغيم لهذا النص ولبعض الأسئلة المرافقة له، وذلك عندما يتعلق الأمر بمتعلمي المجموعة التجريبية. أما مع متعلمي المجموعة الضابطة، فقد غُيِّب متغيرُ التنغيم تماما، سواء أثناء قراءة نص الانطلاق، أو أثناء قراءة بعض الأسئلة. وفيما يلي ما تم التوصل إليه من نتائج:



انطلاقا من المبيان أعلاه، (la boite à moustache) نلاحظ أن:

مقاييس تموضع معدلات المجموعة التجريبية أعلى من مقاييس تموضع معدلات المجموعة الضابطة. وبصفة عامة، إن توزيع معدلات المجموعة التجريبية يميل نحو الأعلى مقارنة مع معدلات المجموعة الضابطة، ذاك ما يوضحه حساب الوسيط لدى المجموعتين؛ إذ يصل إلى معدل 16 في المجموعة التجريبية، في حين لم يتجاوز معدل 09 في المجموعة الضابطة. ما يعني أن هناك علاقة بين المتغيرين المدروسين: متغير التنغيم (وهو متغير كيفي qualitative)، ومتغير الفهم القرائي لدى المتعلمين الذي تمثله المعدلات (متغير كمي quantitative) التي حصلوها في الاختبار. ومما يوضح بجلاء شدة الارتباط بين هذين المتغيرين، قيمة المؤشر الإحصائي: Rapport de corrélationالتي سنتبيّنها بحساب بعض المعطيات الواردة في الجدول التالي:

المعدلات	Sommes des carrés	Ddl	Moyenne des carrés	F	Signification
Inter-groupes	510,417	1	510,417	75,669	,000
Intra-groupes	391,233	58	6,745		
Total	901,650	59			

$$\eta^2 = \frac{\text{Inter-groupes}}{\text{Total}} = \frac{510,417}{901,650} = 5,6^{-1}$$

لأن هذه القيمة تساوي: $5,6^{-1}$ وهي بعيدة عن القيمة 0، فذاك يثبتُ وجود علاقة بين متغير التنغيم ومعدلات المتعلمين التي تعطينا فكرة جليّة عن مستوى فهمهم لمختلف دلالات نص الانطلاق، والقدرة على التمييز بين أساليبه.

4. خلاصة

لقد خلص هذا المقال، الذي اتخذ من التنغيم متغيرا تطريزيا مؤثرا في الفهم القرائي خلال القراءة الجهرية لدى متعلمي الثالثة ثانوي إعدادي، إلى النتائج التالية:

- أن للتطريز أهمية كبيرة في تطوير ملكات المتعلمين اللغوية عامة، والمهارات القرائية على وجه الخصوص؛
- أن ملمح التنغيم، في علاقته بالملامح التطريزية الأخرى وببعض الأنظمة الصوتية الصواتية، يلعب دورا جليّا في تحسين أداء المتعلمين **القرائي الجهري،** وفي تطوير مستويات **الفهم القرائي** لديهم؛
- أنه من الضروري بناء وعي صوتي/ صواتي لدى المتعلمين يمكّنهم من ضبط آليات المهارات القرائية أداءً وفهما وتذوقا؛
- لابد من الاهتمام بمجموعة من الشروط الموضوعية التي تساعد التنغيم على تأدية ما افترضناه له من وظيفة ديدكتيكية، أجملنا أبرزها في: كفاءة المدرس اللغوية ومهاراته القرائية، والنصوص الإبداعية التي يكون بمقدورها ترجمة تجليات التنغيم ومختلف الظواهر الصواتية المساعدة على الأداء والفهم القرائيين، وكذا مهارة الاستماع باعتبار السمع أبا الملكات بتعبير ابن خلدون في مقدمته، وأخيرا شرط الدافعية الذي يعد مفتاح تحقّق مختلف أهداف العملية التعليمية التعلمية.

فحري، إذن، بالقائمين على الشأن التعليمي الاعتراف بأهمية التطريز ديدكتيكيا، واستثمار مختلف وظائفه اللغوية استثمارا ديدكتيكيا تُراعى فيه شروط النقل الديدكتيكي الفعّال.

المراجع

Arvaniti, A. (2015). *The Autosegmental Metrical model of intonation phonology.*

Duboit, J., et autres. (1973). *Dictionnaire de linguistique.* Paris, France: Larousse.

Féry, C. (2017). *Intonation and prosodic structure.* Cambridge, New York: Cambridge University Press.

Hilton, M., & al. (2019). *Parallels in Processing Boundary Cues in Speech and Action* (Vol. 10). Frontiers in psychology.

Karlin, A. (1985). *Intonation in oral reading and reading comprehension* (Vol. 25). Reading Horizons.

Pike, K. L. (1945). *General Characteristics of intonation.*

Prieto, P. (2015). *Intonational meaning* (Vol. 2). NIRES Congn.

Tench, P. (2005). *Talking Intonation.*

أبو عمشة, خ. ح . (2018). *نظريات اكتساب اللغة الثانية في الفكر اللغوي العربي وتطبيقاتها المعاصرة.* عمان، الأردن: داركنوز المعرفة للنشر والتوزيع

البصيص, ح. ح. (2011). *تنمية مهارات القراءة والكتابة، استراتيجيات متعددة للتدريس والتقويم.* دمشق, سوريا.

الضباغ, ع. (2019). *التربية الجمالية والإبداع الأدبي، مقاربة ديدكتيكية.* إربد, الأردن: عالم الكتب الحديث.

الغريسي, م. (2019). *اللسانيات وديدكتيك اللغة العربية تدريس اللغة العربية من منظور توليدي.* إربد, الأردن: عالم الكتب الحديث.

المغراوي, ع. (2017). *صعوبات القراءة والكتابة وعلاقتهما بالتحصيل الدراسي، نحو مقاربة حديثة.* (Vol. 35)بابل : مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل.

النهيبي, م. (2019). *دليل تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها: تخطيط-إنتاج-تقييم)* ك. ع. التربية (.Éd ,الرباط , المغرب: جامعة محمد الخامس بالرباط.

باي, م. (1998). *أسس علم اللغة، ترجمة أحمد مختار عمر.* (éd. 8)القاهرة, مصر: عالم الكتب.

بسام بركة (1998): علم الأصوات العام، أصوات اللغة العربية، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان.

حسان, ت. (1994). *اللغة العربية معناها ومبناها.* الدار البيضاء, المغرب: دار الثقافة.